المرأة العربية وتجربة الكتابة الأدبية (الرواية أنموذجا)

د.أحلام مناصرية
جامعة منتوري_ قسنطينة 1

الملخص:

لطالما اعتبرت المرأة رمز العطاء، وإذا كان هناك من يرى أنها نصف المجتمع، فإن أهمية الأدوار التي تؤديها فيه تجعلها المجتمع كله لا نصفه، فقد كسرت قيود الهامشية ونافست الآخر على موقع المركزية ، ورفضت الاكتفاء بالأدوار البسيطة والروتينية التي تؤديها في الحياة اليومية، إذ حاولت إثبات وجودها وتأكيد كينونتها في مجالات الإبداع الأدبي من خلال إظهار مالها من قدرات إبداعية وطاقات تخيلية اتخذتها مطية لرصد انشغالاتها ومعالجة هواجسها والانتصار لذاتها وللحركات النسوية المناهضة لحالها في المعترك الحاصل بين الثقافة الذكورية والحراك الاجتماعي، وبذلك توسع نطاق انشغالاتها وخرج عن حدود الاهتمام بالقضايا الذاتية الخاصة ليشمل أخرى جمعية عامة مواكبة للمستجدات الطارئة والتغيرات الاجتماعية المستحدثة ؛ لتسجل بذلك حضورا وصوتا متميزا في مجال الإبداع الأدبي خاصة في ظل تزايد الاهتمام بأدب المرأة، وفي هذا السياق تندرج ورقتنا البحثية التي نحاول من خلالها استجلاء الأشواط التي قطعتها المرأة المبدعة في مسيرتها النضالية لمواجهة أسر التقاليد الرثة، وكسر قضبان التسلط الذكوري التي أعاقت دربها وعرقلت محاولاتها الإبداعية، والوقوف عند أهم إسهاماتها في هذا المجال عموما وفي مجال المتخيل الروائي خصوصا.

الكلمات المفتاحية: المرأة العربية، الوعي، التعليم، الكتابة الإبداعية، المشهد الثقافي، الحركة الأدبية، الرواية.

Abstract:

Women have always been considered the symbol of giving, and if someone considers that she is the half of society, then the importance of the roles she plays makes her the whole society, not just the half. She broke the marginal restrictions and competed for the central position, she refused to be satisfied with the simple and routine roles that she plays in daily life, she tried to prove and confirm her existence in the areas of literary creativity, by showing her creativity and imagination abilities using them as a method to monitor her preoccupations, address her concerns and triumph for its own sake and feminist movements opposing its situation in the battle between male culture and social mobility. In this way, she expanded its preoccupations and deviated from the limits of interest in special self-issues to include other general assembly keeping pace with casual developments and social changes introduced; record a distinguished presence and voice in the domain of literary creativity, especially the increasing interest in women's literature In this context, our research paper falls through which we try to clarify the strides made by the creative woman in her struggle to confront of capture of tattered traditions, and challenge the male domineering restricts that hindered her path and obstructed her creative endeavors, and to stand at her most important contributions in this scope in general and in the domain of imaginary novel in particular

Key words: Arab women, consciousness, Education, Creative Writing, Cultural Landscape, Literary Movement, Novel

مقدمة:

سجلت المرأة العربية حضورها في صناعة التاريخ بمختلف مراحله، حيث قدمت إسهامات فعالة، وأبلت بلاء حسنا في معركة البناء والتشييد بمختلف ميادينها، وعبرت عن حضورها الدائم في مختلف المجالات الحياتية. وإلى جانب ذلك فقد ظلت وفيه لقضيتها، إذ رفضت أن ينحصر دورها في أداء الوظائف الروتينية البسيطة التي تؤديها في الحياة اليومية، وأن يستمر تسلط المجتمع وتماديه في تهميشها مثلما كان الأمر في سابق عهدها، فمضت تكسر قيود الهامشية وتنافس الآخر على موقع المركزية، مسخرة مالها من قدرات تخييلية وطاقات إبداعية في إثبات كينونتها والتأسيس لوجودها في مجالات الإبداع الأدبي، متخذة إياها مطية لرصد انشغالاتها ومعالجة هواجسها والانتصار لذاتها وللحركات النسوية المناهضة لحالها في المعترك الحاصل بين الثقافة الذكورية والحراك الاجتماعي. وبذلك توسع نطاق انشغالاتها وخرج عن حدود الاهتمام بالقضايا الذاتية الخاصة ليشمل أخرى جمعية عامة مواكبة للمستجدات الطارئة والتغيرات الاجتماعية المستحدثة ؛ لتسجل بذلك حضورا وصوتا متميزا في المشهد الثقافي عامة، وفي مجال الإبداع الأدبي خاصة. ففي ظل تزايد الاهتمام بإسهامات المرأة في الحركة الأدبية ظهرت مصطلحات كثيرة تسم كتاباتها الإبداعية والنقدية كأدب المرأة، أدب الأنثى ، الأدب النسائي/ النسوي/ الأنثوي، أدب الأظافر الطويلة، الخ. ولئن تعددت المصطلحات فإنها تشترك في كونها تبرز المكانة التي يحتلها هذا النوع من الكتابة في الساحة النقدية التي استوعبت كتابات المرأة الأدبية لتسهم بدورها في إثرائهاا عبر الكشف عن قضايا الراهن، ومعالجتها من منظورها الخاص والمغيب حقبا من الزمن.

لقد شهد المشهد الثقافي المعاصر تزايدا في الأسماء اللامعة في سماء الإبداع الأدبي تراوحت بين روائيات وقاصات وشاعرات، استطعن استقطاب اهتمام القراء والباحثين المعاصرين؛ حيث حاولن معالجة الانشغالات السيكولوجية والسوسيولوجية الراهنة، ومن هذا المنطلق تولدت فكرة تناول "إسهامات المرأة الإبداعية في الحركة الأدبية" والتركيز على المتخيل الروائي تحديدا، ويأتي ذلك من خلال طرح إشكاليات عدة أهمها: ماهي إرهاصات تشكل وعي المرأة في المجتمعات العربية؟ وما هو دورها في المشهد الثقافي؟ وكيف أسهمت في إثراء الحركة الأدبية في ظل الضوابط الاجتماعية والثقافية؟ وكيف كانت انطلاقتها في التجربة الروائية؟ وماهي أسباب التوجه للإبداع في إطار هذا الجنس الأدبي؟ وما الذي قدمته للتجربة الروائية العربية؟

1. إرهاصات تشكل الوعي لدى المرأة العربية:

ظل وضع المرأة العربية هامشيا دونيا حقبا من الزمن، وقد سجل التاريخ بدوره ما تعرضت له من إقصاء وتهميش؛ حيث فرض عليها الغياب عن واقع الحياة بكل مجرياتها، فما كان لها إلا أن تسلحت بشتى الأسلحة لتكسر القيود التي كبلتها، وترفع الستار الذي حجبها، وتحطم جدار الصمت الذي أسكت صوتها، وتثبت وجودها وتؤكد كينونتها في زخم الأحداث التي كانت تشهدها الأوساط العربية، وكان منطلقها الأول تشكل الوعي بقضيتها والإيمان بدورها، والذي أسهم في يقظتها خاصة في إطار التأثر بالحركات النسوية الغربية خلال النصف الثاني من القرن الماضي، وتعرف المرأة العربية على أوضاع نظيرتها الغربية التي

كانت أحوالها مختلفة عنها كل الاختلاف في ظل ما حققه مسار النضال النسوي الغربي من نتائج عملت على تحسين موقع المرأة في المجتمع، والإسهام في" نمو الوعي لدى المناضلات بأوضاعهن الاجتماعية والجنسية، إضافة إلى التيار الإصلاحي، لما له من دور في بلورة الوعي النسوي اجتماعيا وثقافيا"[1]، والحقيقة أن الحملة الفرنسية على مصر كانت البداية الحقة لوعي المرأة العربية؛ وفي ذلك نوع من "التأكيد التاريخي أن إشكالية الوعي بضرورة تحرير المرأة العربية، لها علاقة وصل بوضعية مغايرة، حملها معه هذا الوافد الجديد، ألا وهو الغرب الاستعماري، إذ أن الرجوع إلى عصر النهضة وتحديد طبيعة لعلاقة بين مصر والغرب كافية للبرهنة على ذلك "[2]، وبالتالي فإن حركة التفاعل الفكري العربي الغربي هي التي شكلت بوادر النهضة أثناء حملة نابليون وبعدها في فترة الاستعمار، وما بعد الاستعمار.[3]

يضاف إلى ذلك دور الهجرة إلى البلد المستعمر في شكل بعثات علمية والتي لعبت دورا لا يستهان به في التأسيسي لوعي المجتمعات العربية عموما، والمرأة خصوصا، فقد أتاح الاطلاع على ما حققته المرأة الغربية في سبيل الانتصار لقضيتها، فضلا عما قام به المتأثرون بثقافة الغرب من دور في تيسير سبل تحررها؛ حيث وجدت المرأة من هؤلاء من ينصب نفسه مدافعا عنها ومطالبا بحقوقها، وهم في مجملهم دعاة إلى إصلاح المجتمع العربي. وكانت قضية الرفع من منزلة المرأة في المجتمع أولى أولوياتهم، وقد انتبهوا إلى كون ذلك لا يتحقق إلا من خلال القضاء على الأمية، فكان تعليم المرأة من أهم القضايا التي انشغل بها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وقاسم أمين في مصر، وبطرس البستاني في لبنان، والطاهر الحداد في تونس، وغيرهم[4]، أما عن "رفاعة الطهطاوي" فقد انتصر بدوره لقضية المرأة، وكان يرى أنها ضحية التقاليد الاجتماعية السائدة ، فتقدم بمشروعه الإصلاحي الذي سعى من خلاله إلى تكييف أحكام الشريعة مع مستجدات العصر[5]، جاعلا من التعليم والتربية أهم سبل النهوض بشخصية المرأة. وتعد دعوته إلى ضرورة تعليم المرأة وتثقيفها أولى مبادرات مناصرة الآخر الذكوري وإقرار رفض النظرة الدونية التي ألحقت بها مطولا، ويأتي ذلك بعد " التقاط رواد النهضة العربية وعيهم بقضية المرأة من خارج مجالهم، أي عن طريق احتكاكهم بالغرب. إن الغرب هنا يعد المصدر الأول للوعي العربي بهذه القضية" ، وبالتالي فإن الوعي النسوي العربي قد مر عبر وساطتين حتى تبلور على النحو الذي آتى من خلاله أكله. أولاهما تمثلت فيما استفاده رواد النهضة، أمثال قاسم أمين ومحمد عبده وأحمد فارس الشدياق من الغرب، وثانيهما نقل هذه الوعي إلى المرأة التي لم تتهاون في مسايرة المستجدات محتذية بالنموذج الغربي للمرأة سائرة على خطاها في تشكل وعيها بضرورة التعبير عن قضاياها ورصد هواجسها وانشغالاتها، حيث تجاوزت بعض المعوقات، وانطلقت في رحلة إثبات الوجود وتأكيد الكينونة في مجالات لطالما ظلت حكرا على الرجل ، مثل العمل الاجتماعي ممثلا في نشاط الجمعيات النسائية، والسياسي الذي تجسد في التأسيس لأحزاب أو إعلان الانخراط فيها، فضلا عن مجالي الإبداع والكتابة ممثلين في نشاط الكتابة الإعلامية كإنشاء المجلات والصحف، والتأسيس لتجربة إبداعية نسوية في مجالات الشعر والقصة والمسرحية والرواية، الخ.

وبذلك أمكن القول أن " الحضـور النسـائي في مجال الحياة والكتابة، بدأ منذ أواخر القرن التاسـع عشـر، وأصـبح يتحقق بشـكل أقوى بعد ثورة 1919م"[6] ؛ حيث نضـج وعي الكتابة لدى المرأة المبدعة في ظل هذه المتغيرات الجديدة المحفزة على إثبات قدرتها على خوض غمار الإبداع والتفوق فيه بمختلف أشكاله.

2. إسهامات المرأة الإبداعية في المشهد الثقافي

إذا كانت الكتابة الأدبية أرقى أشـكال الإبداع الإنسـاني، وأهم ما يزدان به المشـهد الثقافي، فما موقع المرأة منه؟

إذا كانت الكتابة أرقى أشـكال الإبداع الإنسـاني وأهم ما يزدان به المشـهد الثقافي، فما موقع المرأة منه؟ تعد خلفية الكتابة الإبداعية المحرك الثقافي الرئيسـي في صـياغة إشـكالية المرأة في البنية الثقافية والاجتماعية والتاريخية، ومن ثم مثلت كتابة المرأة حالة حضور قوي وتعبير وجودي فعال في المشهد الثقافي، وكان ذلك نتاجا طبيعيا لحركة الوعي التي شهدتها، ومن المجالات التي ساهمت في إثراءها نذكر:

1.2. مجال الصحافة والإعلام:

انتقلت المرأة العربية من حالة الانبطاح في زمن وجود القيود المفروضة عليها إلى حالة البحث عن الذات في زمن حرية الرأي، ولكن ذلك لم يجسد فعليا إلا حينما أدركت دور مجال الصحافة والإعلام في إثبات وجودها لما يتيحه من فرص المشاركة في الساحة الثقافية التي استأثر بها المسيطر على وعي المجتمع، ولذلك فقد توجهت المرأة العربية إلى تأسيس صحف ومجلات نسائية ناطقة بلسان حالها مواكبة للتحولات التي مست مختلف الأبنية السياسية والاجتماعية ....،كما احتضنت ما جادت به الأقلام النسائية من نتاجات إبداعية ، فكانت أول مجلة نسائية في الشرق العربي بعنوان "الفتاة" والتي أسستها "هند نوفل" سنة 1892م، ليتوالى بعد ذلك ظهور المجلات التي وإن اخلفت مسمياتها ومكان وزمان تأسيسها إلا أنها اشتركت في الهدف الذي وجدت من أجله وهو إعادة الاعتبار لمكانة المرأة في المجتمع والتي مازالت تشوبها النظرة التقليدية التي تقزم أدوارها، إضافة إلى الاحتفاء بمساهماتها في مجالات الحياة المختلفة، والاعتراف بجميل صنيعها في سبيل الارتقاء بالفكر والثقافة العربية ، ولا أدل على ذلك من اتخاذها من الصحافة كذلك وسيلة فعالة في التوعية وفي نشر كتاباتها على اختلاف ارتباطاتها وتنوع مشاربها، ومن الصحف والجلات الذي سخرت لهذا الغرض نذكر: فتاة الشرق لصاحبتها لبيبة هاشم التي تهتم بتربية الفتاة ، وتطالب بالعناية باللغة العربية لغة وأدبا، إضافة إلى مجلة الريحانة لصاحبيتها جميلة حافظ، وهي التي ـــأول مجلة نسوية مصرية ، ثم مجلة الجنس اللطيف التي تأسست سنة 1908م، مجلة المرأة ، شجرة الدر، السعادة، الزهرة، السيدات والبنات، جريدة العائلة، مجلة ترقية المرأة، مجلة مرشـــد الأطفال، مجلة الإقدام، مجلة فتاة النيل[7]...وغيرها كثيرا. وإذا كانت الصحف والمجلات قد فسحت المجال واسعا أمام المرأة لإبداء الرأي لكونها مستمدة من الفكر التحرري ، فإنها قد ساهمت في إثراءها بمواضيع تتجاوز حدود القضايا الذاتية الخاصة إلى أخرى جمعية عامة، ولم تتوان عن تقديم إضافات نوعية إيجابية للثقافة العربية[8].

2.2. في مجال الجمعيات النسائية:

من المجالات التي خاضت غمارها المرأة العربية وأثبتت جدارتها فيها بداية من القرن الماضي مجال الجمعيات النسائية، والتي استطاعت أن تفتح المجال أمامها لإسماع صوتها والدفاع عن حقوقها، فتأخذ على عاتقها مهمة مناهضة قضيتها وتتعهد بالعمل في سبيل ترقية أوضاع بنات جنسها، ولا تكتفي بذلك بل تتعداه إلى الالتفات حول الجمعيات المدافعة عن حقوق الانسان بشكل عام والتي تهدف إلى الاصلاح والتغيير الاجتماعي إيمانا منها بقيمة هذا العطاء، وبذلك أصبحت مشاركة النساء ذات بال بوصفهن مشاركات في تأسيس الجمعيات أو وافدات معاونات أو حتى دارسات مستفيدات، وصارت الجمعيات "بحق مجالا رحبا للقدرات الكامنة التي ما كان لها أن تحقق شيئا لولا ذلك الحماس الذي كان يقبع في أعماق كل واحدة من اللاتي أنصتن للصوت المنبعث من الداخل والداعي للرقي والتقدم والنهوض".[9]

1.2. إسهامات المرأة في المجال الأدبي:

أصبحت المرأة العربية ومنذ تمكنها من إسقاط فكرة دونيتها، وتجاوز محاولات الوأد والتهميش التي تعرضت لها عنصرا هاما وقوة فاعلة في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. كما استطاعت ولوج مجالات بكر ظلت حكرا على الرجل عقودا من الزمن، وأثبتت كفاءتها فيها، وقد جاء التعليم وتزايد الوعي ليكونا بمثابة سلاح للمواجهة ووسيلة للوجود بالقوة وبالفعل، وليفتحا لها آفاقا جديدة ظلت مغيبة عنها ويساعدانها على تخطي الأدوار الروتينية البسيطة التي لطالما اقترنت بها، من خلال توطيد علاقتها بالراهن الاجتماعي والاضطلاع فيه بممارسة وظائف ذات بال، تكون كفيلة بإثبات الوجود وتأكيد الكينونة. وبذلك اتجهت صوب الكتابة الإبداعية على اختلاف أنواعها، مركزة الاهتمام على الأدبية منها، والحقيقية أنه لا يمكننا الحديث عن وضع المرأة في ساحة الإبداع الأدبي، وبيان إسهاماتها في مجال الرواية خاصة بمعزل عن الحديث عن علاقتها بالكتابة عامة.

2.2. المرأة والكتابة الإبداعية الأدبية:

تعد إسهامات المرأة/ الكاتبة في الأدب "موقفا حضاريا لابد من التنبه إلى أبعاده الاجتماعية، والثقافية والسياسية والإيجابية"[10]، ولهذا فإن الحديث عن علاقتها به وبالثقافة عموما يأخذ منعرجا حاسما في مجال الدراسات المهتمة بإنجازاتها الأدبية والفكرية في تاريخ الفكر الإنساني، والمتتبع لمراحل نشأة وتطور الأدب العربي يجد أن العنصر النسوي لعب دورا جوهريا في بعثه من خلال مشاركته الإبداعية في مختلف تشكلاته الأجناسية (قصة، شعر، مسرح، رواية، الخ.)؛ حيث وفق في ترك بصمته في الساحة الأدبية والنقدية، وأثرى المشهد الثقافي العربي، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة علاقة المرأة بالكتابة الأدبية، وما السر في توجهها إليها، وتمكنها من تحقيق فيها صوتا وحضورا مميزا؟

تعد الكتابة الإبداعية من أهم الوسائل التي تنظم الوعي بالذات وبالعالم من حولها، كما تتحول إلى جانب ذلك إلى فضاء حر لإعادة تشكيلهما على نحو مغاير، وهي بذلك من أهم وأكثر وسائل التمثيل تأثيرا، فمن الثابت أن الذات أقدر من غيرها في تمثيل قضاياها وطرح هواجسها وانشغالاتها، غير أن الأمر في الكتابة قد يكون خلافا لذلك، إذ تطرح إمكانية مصادرة حق الذات في تمثيل نفسها فيؤدي ذلك إلى تغيب وعيها

ووجهة نظرها، وقد يظهر التحيز ضـــدها أو لها ويبقى كل ذلك مرهونا بوعي الكاتب ومنظوره إزاء القضـــايا الذاتية والجمعية، وقد أدركت المرأة العربية هذه الحقيقة فاعتزمت خوض مجال الكتابة الإبداعية حتى تسترجع حقها في القول، وبالتالي في الوجود، خاصـة بعدما أصـبحت الكتابة الإبداعية من أهم وسـائل طرق قضـايا الراهن وإنتاج المرجعيات الثقافية والاجتماعية وفق ما يقتضـــيه الجنس الأدبي، ومدى قدرته على مســـاءلة التصـورات التي تخص العالم الذي يشـهد يوما بعد آخر تحولات كثيرة تتطلب الإحاطة بها من وجهات نظر متباينة، وبالتالي من منظور المرأة باعتبارها نصـف المجتمع، إذ تحاول اسـتنطاق جانبا من المسـكوت عنه باعتبار " أن أدب المرأة يسهم في إضاءة هذه الفجوات، وإذا كانت الكاتبات يطمحن إلى الإسهام في تشكيل المعرفة"[11]، وفي التغيير على كل الأصعدة، فإنهن يدركن أن ذلك لا يكون إلا من خلال الكتابة.

ولعل من بين الأسـباب التي دفعت المرأة إلى هذا التوجه ومنافسـة الآخر الذكوري في هذا المجال بالرغم من أنه كان ســـباقا إليه، هي طبيعتها وخصـــوصـــية تكوينها، فلم تكن علاقة المرأة بالكتابة الأدبية عامة، وبالقص خاصـة "وليدة القرن العشـرين، بل أبعد من ذلك، وربما يوما ما نصـبت شـهر زاد نفسـها راوية عن بنات جنسها، وهي تدافع عن ذاتها ضد شهريار (الرجل)، كل ليلة تتفنن في نسخ قصص تحبكها بفنية عالية لتضـمن المتعة للملك، حتى تنجو بحياتها وتنجي بذلك بنات جنسـها، كانت تنقله فيها إلى عالم ملئ بالدهشـة والغرابة، ينفتح على سـرد سـحري غرائبي، فيه من الواقع شـيء ومن الخرافة والأسـطورة أشـياء، حكايات عجائبية عن عالم الإنس والجن تتنامى فيها الأحداث وتتداخل الحكايات ممزوجة بأفكار مختلفة أيديولوجية، أخلاقية اجتماعية...تحكي فيها عن الراعي والرعية عن فساد السلطة وجبروتها وغبن المجتمع وشقائه، عن الحق والصدق، عن البذخ والترف عن اللهو والمجون والجنس... هي حكايات أفرزها الخيال النسائي، مبدأها الأول والأخير يرتبط بالرغبة في الحياة والحرية والانتصار، وإلى اليوم، ما تزال حفيدات شهر زاد تقتفين أثرها وتؤخذن الحكي وسـيلة لتمرير مآسـيهن بغية التحرر منها؛ حيث تنطلق كثير من الروائيات في أعمالهن من نقطة جوهرية نابعة من إحسـاسـهن بالمهانة والقمع في مجتمع ذكوري متسـلط مليء بالضـغوط من جوانب عدة، تحمل الرجل فيه كل ضـــرر لحق بها، أصـــبحت عندها قضـــية ذاتية تبدأ معها من الواقع وتمتد إلى الفضاء المحكي، ولا تخرج في كثير من الأحيان فيها عن العلاقة بالآخر (الرجل)"[12].

وإذا كانت شهرزاد قد أنقذت حياتها من بطش شهريار (الآخر/الذكوري) بإغرائه والسيطرة عليه مستعينة بالحكاية المسلية التي حالت بينها وبين سيفه القاطع لإجادتها السرد والاسترسال فيه (ربط السابق باللاحق) ،وإحكام سبكه (تفعيل عنصر التشويق من خلال الامتناع عن إكمال الحكاية في كل ليلة وترك باب التأويل مفتوحا على مصـــرعيه إلى ليلة أخرى تجعل فيها نهاية الحكاية الأولى بداية لحكاية جديدة)،فإن ذلك يؤكد على أســبقية المرأة عن الرجل في مجال الحكي، لا بالحكاية الشــفاهية المســلية فحســب ، وإنما بالتعبير الإيجابي عن الذات عملاً ونضـالاً وفكرًا وأدبًا[13]، والذي يجعل الكتابة الإبداعية أكبر من كونها مجالا إبداعيا، بل هي مجال للوجود بالفعل وبالقوة، ومنفذ للانفلات من قيود الصمت، مجال للخلاص للبوح والافصاح، هي نظرة للعالم وطريقة لتأكيد الحضـور فيه، أي أن المرأة لم تجد نفسـها إلا بالكتابة، التي لم تعد ترفا فكريا بقدر ما هي فعل تحرري، " فالكتابة ليســـت فقط اللعبة والمتعة، ولكنها كذلك اللغة التي من خلالها تعطي المرأة

لكتاباتها معنى اختيار الحرية وتحمل قهر السلطتين: السلطة الشهريارية الذكورية"[14]، فمن خلال الكتابة ترتاد لغة الغرابة، لتدرأ عن اللغة الصـــدأ، حاملة كآبتها التي لا تنفتح إلا في غابة الكتابة؛ حيث يقوم العمل الفني بتخفيف توتر النفس البشـرية العميقة[15]، لأنها تفجير للمكبوت، وإبداء للرأي، وطرح للهواجس والانشـغالات، ومعالجة للقضايا والمعيقات، لذلك عدت كتابة المرأة " حالة شعرية بامتياز، فكلما شفت الذات، تجردت اللغة، فحدث فعل الكتابة الذي يصـير أحد أسـرار هذه الوفرة التأويلية التي تتبعها اللغة للقارئ على مسـتوى علامة المعجم ووظيفة الدلالة، وتشكل الزمن، وتهندس الفضاء".[16]

ولئن كانت المرأة قد اعتزمت دخول ميدان الكتابة لإظهار قدراتها الإبداعية وطاقاتها التخيلية، فإنها وقبل ذلك اتخذتها مجالا لتحقيق الذات، ووسـيلة لإثبات الوجود المختلف ولإعلاء صـوتها، ذلك أن " تجربة الكتابة ليســت ســوى رهان مع الذات على قول ما لا تســتطيع لغات الآخرين تشــكيله"[17] فالكتابة لا تكتفي بحدود الكائن، بل هي فضـــاء تتحرك فيه الذات المبدعة متطلعة إلى ما يجب أن يكون من خلال نقل الأفكار من خلال اللغة " للتحول الكتابة من الرمز المنطوق إلى الصـــوت المحفور، ومنه إلى الحرف المقروء، ومن هذا كله إلى الكلمة"[18]، والتي تكون ســـبيل الافتراق مع الآخر؛ حيث تســـتدعي المكبوت والمتراكم عبر الزمن، وتكون كفيلة بطرح قضـــايا متنوعة، والخوض في تمثيلات متعددة تجاوزت حدود الاكتفاء بمناقشـــة قضـــايا الذات الأنثوية وأسـئلتها الخاصـــة، مزاوجة في أسـئلة إبداعها بين العام والخاص، بين الذاتية والجمعية، بين الواقعية والتخيلية، بين المباشـرة والإيحائية، ذلك أن الكتابة لدى المرأة " هي أداة أخرى لتأسـيس علاقة جديدة مع العالم، واختارت المرأة الكتابة بناء على المواجهة، المراوغة، والاحتيال على واقع وشـخوص تصـبح معها الكتابة أداة انتقام تصـل حدود القتل، وفي هذا كله تنطلق من منطلق يقوم على اسـتعمال الحواس بدل العقل، لتعطي صـــورة من علاقة المرأة/ بالكتابة كقيمة تجســـد الكتابة كفعل مواجهة للاحتفاء بالذات وإثبات حضـــورها"[19]، لأن النص الإبداعي يغدو امتدادا وجوديا للذات الكاتبة التي تحاول بدورها جعله يطرق الراهن الكائن، وتتعداه إلى ما يجب أن يكون، طرح فيه من الخصوصية الشيء الكثير رغم ما وجه له من انتقادات، وما ووجه به من رفض، في مقابل اعتراف صريح وتأييد مطلق حظي به من جهة أخرى.

ولئن تباينت المواقف بشأن كتابات المرأة بين الرفض والتأييد المشروط، فإن الأكيد أنها فرضت نفسها بقوة على الساحة الإبداعية العربية، ولا أدل على ذلك من اكتساح المرأة لمجالات الكتابة الأدبية بمختلف أجناسها(القصة، الشعر، المسرحية، الخ.)،فضلا عن توجهها إلى أنماط تعبيرية معينة كالرواية مثلا، التي سمحت لها بما تتوفر عليه من خصـائص الإبانة عن رحابة فكرها وقدرتها على نحو أصـبحت فيه ميثاق أنثوي ، فما هو ســبب توجهها للإبداع في إطار هذا الجنس الأدبي، وما الذي أضـــافته المرأة المبدعة للكتابة الروائية بفعل توجهها للإبداع في إطارها؟، وهل يعني ذلك إمكانية الحديث عن تجربة روائية خاصـــة بالمرأة العربية متميزة في طريقة تعاملها مع آليات البناء الفني وتقنيات اليرد، وعلى مستوى المضامين والتشكلات السردية؟

3. اسهامات المرأة المبدعة في مجال الكتابة الروائية:

لقد تأكد لنا من خلال ما ســبق العلاقة الحميمة بين المرأة والكتابة الأدبية عامة وبالقص خاصـــة، وهي علاقة قديمة قدم الوجود، ولا أدل على ذلك مما سجلة التاريخ الذي " أظهر أن النساء على مدى التاريخ وفي

جميع أنحاء العالم أول القاصـات وأهمهن... وأنهن أمهات الحضـارة وأمهات الثقافة الشـعبية، وأنهن اللواتي قمن برواية القصص من جيل إلى جيل، واللواتي حفظن التاريخ الشفوي ونقلن الحضارة الشفوية بكل أوجهها من جيل إلى آخر"[20]، بهدف التثقيف والإصـلاح، لتسـاهمن بذلك في التنشئة وبناء الشـخصـية الاجتماعية، وطرح وجهة النظر والدفاع عنها، ومناقشة القضايا وبيان المواقف والتوجهات، هذا الدور الذي تدعم أكثر في ظل تزايد إقبال المرأة المبدعة على الكتابة الروائية التي حققت فيها من التميز والخصـوصـية ما لم تحققه في أي مجال آخر، وهذا ما تؤكده" نهال مهيدات" ؛حيث تقر" أن" الرواية هي الميثاق الأنثوي الذي تســـعى فيه المرأة لحماية وجودها المؤنث من تسـلط الثقافة الذكورية"[21]، فما مدى صـحة هذا التصـور؟ وما هي طبيعة العلاقة بين الرواية والمرأة؟ وما هي الإسهامات التي قدمتها في إطار هذا الجنس الأدبي؟

لقد اهتم النقد النســـوي الغربي والعربي على حد ســـواء بفن الرواية أكثر من اهتمامهما بالأجناس الأدبية الأخرى، وهذا أمر طبيعي نبرره بالدور الذي تؤديه الرواية في معالجة قضايا المجتمع، وبالتالي المساهمة في التغيير، ولذا نجد أن" المرأة الكاتبة قد استجابت للفن الروائي منذ نهاية القرن الماضـي، وأن إسهامها فيه كان بحجم هذا الفن ونموه في البلدان العربية"[22]، ويأتي ذلك سعيًا منها لإثبات وجودها الخاص، فهي لم تقف فيه" عند حدود كونها قارئة جيدة أو بطلة في الروايةـــ، ولكنها مارست الكتابة، ونبغت روائيات عديدات وفرضن وجودهن في مجال الإنتاج الروائي...ويكفي أن نشـير هنا إلى أسـماء مثل: ف. وولف، وج.إليوت، وجورج صـاند..."[23]، وهنا يظهر لنا أن اتجاه المرأة لكتابة الرواية باعتبارها الحيز المتاح والأكثر رحابة والأمثل أيضًـا لإعلاء صـوتها وإنطاقها بلسـان حالها، وإطلاق خطابها الذي يتمنطق بالسـرد، أو "بوصـفها الفاتحة الأولى لإبداع المرأة الكاتبة. وهي الظاهرة نفسـها في الأدب العربي الحديث منذ عصـر النهضـة، وذلك لأن تجديد النظر في المجتمع والأدب ســار جنبًا إلى جنب مع مشــاركة كبرى للمرأة في هذا المســار لأســباب تتعلق بتحولات اجتماعية وتاريخية" [24].

وإذا كانت الرواية ومنذ ظهورها الأول قد ارتبطت بشــكل كبير بالذات الأنثوية "ســواء باعتبارها من أهم العوالم الشخصية، أو بطلة رئيسية (مدام بوفاري، زينب، على سبيل المثال)، أو واحدة من أهم جمهور قراءة الرواية "[25]، وهذا ما يدل على قوة تأثير هذا الجنس الإبداعي في المرأة نظرا لقناعتها بأهمية الأدوار التي يؤديها في بث الوعي واليقظة ، وبالتالي فإنه يكفل لها القيام بالدور الذي تطمح إليه من المجتمع، والذي يرتقي بها من الدونية والهامشـية التي ألحقت بها قصـرا، فإلى جانب سـلطة الغواية والإغراء التي يمارسـها عليها، فإن له ما يميز من إمكانات تجعلها أكثر قدرة على تمثل هواجسـها واسـتيعاب قضـاياها، وقد مهدت السبيل بذلك لظهور نتاج خاص بها لقب بالرواية النسوية.

لقد حققت الدراسات النقدية النسوية توجها خاصا إزاء الرواية النسوية على وجه التحديد باعتبارها الفاتحة الحقيقية للإبداع النســـوي[26]، دون غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، فالشـــعر – على ســـبيل المثال لا الحصر -لم يشكل ظاهرة نسوية عربية، ولم يرق إلى أن يكون المجال الفني الذي تستعين به المرأة في إجلاء ما تجيش به دواخلها من أحاسـيس وعواطف وقضـايا وتطلعات، وذلك لكون لغته أحادية بينما تتسـم الرواية بالتعدد اللغوي ومن ثم الحوارية، وتنوع الرؤى والأفكار والتوجهات..، وهذا ما جعلها تســـتقطب الاهتمام

وتستحوذ على الانتباه، وتغري الكاتبات للخوض في مغامرة كتابتها، فقد "شكلت فتنة نسوية في النقد الحديث، نذكر من ذلك فتنة مطلع الستينات من خلال روايات ليلى بعلبكي، وكولييت خوري، وليلى عسيران ولطيفة الزيات...الخ" [27].

وعلى هذا الأساس، انفتح الخطاب النسوي على الرواية التي انفتحت بدورها على الراهن، وتأسست علاقة حميمية بينهما، وأصبحت الرواية بكل ما يميزها من انفتاح على الأجناس الأخرى وقابلية للتعدد اللغوي، وقدرة على التنويع في المضامين والتمثلات السردية منفذ المرأة إلى الواقع ووسيلتها لتأكيد الوجود والمساهمة في مختلف الأبنية، فبواسطتها فرضت نفسها، وانتزعت الاعتراف بكينونتها، وحفرت لوجودها موقعا في الذاكرة الجمعية، إذ لا يستطيع أي أحد أن ينكر أهمية الأدوار التي اضطلعت بها المرأة مؤخرًا، وهذا ما ساعدها على تحقيق في المجتمع وفي الأدب أكثر من هوية وصوتا متميزًا وتاريخيًا طويلاً [28].

وقد تجلى ذلك بشكل أوضح في مجال الرواية؛ حيث تيقنت المرأة من أن ذلك لا يتأتى لها إلا من خلال لها لأنها وجدت فيها ملاذًا لإثبات وجودها والتعبير عن انشغالاتها، فهي إذن تكتب نفسها والعالم من حولها بقلمها لتصبح الرواية نافذتها للبوح والإفصاح، مما يدفعنا للإقرار بأن "الفن الروائي جاء ليفجر المكبوت النسائي نظرًا لطبيعته المرتبطة بالحكي" [29]،إذ تحاول المرأة من خلاله اكتشاف ذاتها وتعرية عوالمها الداخلية بكل تفاصيلها من خلال الخوض في مغامرة الكتابة التي تجد فيها متنفسًا، بل إن المرأة لا تجد فضاء متاحًا لذلك أفضل من الرواية؛ حيث تستطيع فيها التخلص من ظلال الحجب التي غيبتها، والاستفادة من بعض الإضاءة المحدودة للظهور وللبوح بمكنونات الذات عن طريق التلميح تارة، والتصريح تارة أخرى، فالجنس الروائي هو الذي يخرجها من قمقمها المخبوء، ويضعها تحت الإضاءة التي تصنعها اللغة، بين رمزية الكلمات، ووطأة الرغبات[30].

إن الطريقة التي تنتهجها المرأة في الكتابة الروائية تفصح عن علاقة وطيدة بين الأنثى بوصفها ومبدعة، وبين الرواية بوصفها جنسا أدبيًا ومجالا إبداعيًا تتحول فيه المرأة إلى كاتبة أو مكتوب عنها، سواء أكانت حاضرة أم غائبة، كما نلمس تفاعل المرأة مع الكتابة سواء أكانت مؤلفة أم بطلة، أم شخصًا، أم صوتًا، أم رمزًا داخل الرواية [31]،بسرد ذاتها أو رغباتها، بسرد تطلعاتها ووجهات نظرها "عن طريق التعرية المجازية وإسقاط أقنعة الرجل، حيث أنها أثناء معايشتها للسرد تعايش ذاتها، متسلحة بسلطة اللغة ومفعول المجاز" [32]،وهذا ما ينقلها من موقع المفعول به لتغدو فاعلة ومؤثرة بطرحها لوجهة نظرها ومعالجتها لما تراه مناسبا في الرواية باعتبارها " صناعة لغوية فبحركيتها المنسجمة مع لغة المرأة تصنع خطابًا"[33]، مميزا بجنسه الأدبي –الرواية- وبجنس مبدعه –المرأة-.

هكذا اتجهت المرأة إلى كتابة الرواية التي غدت ديوان الأمة لما تتمتع به من قدرة على الإلمام بقضايا المجتمع ومواكبة مستجدات العصر، إذ تمكن المرأة من رصد الرؤى والآفاق ومعالجتها وفق خطة فنية محكمة البناء وبمواضيع وتيمات مترابطة الأجزاء تحرك السرد وتغذيه وتفعل حركيته، وقد ازدادت أهمية الرواية بعد أن أثبت العنصر النسوي حضوره الفعلي فيها بوصفه ذاتًا فاعلة في الخطاب الروائي، وليس مجرد موضوع منظورًا إليه من وجهة نظر الآخر، مما أسفر عن محاولات مضنية في سبيل إثرائه بالتنويع

في تيماته وموضـوعاته، واتخاذه مطية لكشـف الغطاء عن المناطق الخفية أو المعتمة والغوص في دهاليز المكبوت والمسـكوت عنه، ومواكبة طبيعة التغيرات التي شـهدها المجتمع العربي وحتى الغربي ،التي اسـتوجبت من المبدع على اختلاف جنسـه (رجل/ امرأة) أن يواكب هذه المسـتجدات ،ويغطي كل الأحداث بهدف البحث عن العلل والمسببات وإيجاد حلول للأزمات.

من الواضـح أن محاولة المرأة الإسـهام في معالجة قضـايا الراهن أو حتى التعريف بها لا تتأتى لها إلا من خلال اختيار النمط التعبيري المناسب الأكثر مقروئية وبالتالي تأثيرا، والقادر على احتواء كل هذه الوقائع ، ولا شـك أنه لا يوجد ما هو أنسـب لهذه المواضـيع من الفن الروائي لما يتيحه من فرص لطرح القضـايا وشـرحها وتحليلها وبيان عللها واقتراح حلول لها. إذن فاللجوء إلى الرواية أمر اقتضـته ظروف العصـر واسـتوجبته خصـوصـيها بحكم طواعيتها ومرونتها وعدم ثباتها ولا إيمانها بمبدأ الاكتمال نظرا لتجدد مادتها وتنوع المضـامين التي يمكن أن تنهل منها، خاصـة تلك المتعلقة بما هو واقعي، " فالحياة الاجتماعية في عالمنا العربي أصـبحت حياة صـعبة شـديدة التعقيد متداخلة في جميع نواحيها الأخلاقية والفكرية والثقافية والحضـارية والاقتصـادية والسـياسـية – وكل ناحية من هذه النواحي لها تراكماتها الخاصـة والكثيرة، والرواية بطبيعتها الفنية أنسب لاحتواء كل هذه النواحي والتعبير عنها ووصـفها ومعالجتها أكثر من الشـعر...فتمكنت الرواية من تصوير مختلف جوانب النفس البشرية" [34].

إن ارتباط مضـامين الرواية بمجالات الحياة المختلفة وعنايتها بقضـايا الفرد والمجتمع جعلها "تتصـدر قمة الفنون والأجناس الأدبية في الأدب العربي الحديثّ"[35]،وهذا أمر طبيعي مادامت لها هذا القدر على ملامسـة حياة الإنسـان بكل قضـاياها، ومادامت كذلك تحرر المبدع (الكاتب/الكاتبة) من القيود التي كانت تفرضـها الأجناس الأدبية الأخرى، ولهذا غدا "الفن الروائي فنًا أدبيًا محتويًا على رؤية شـاملة لحياة الإنسـان ومجتمعه المعاصـر، رؤية ناقدة تهدف إلى التقييم والتقويم والإصـلاح، إذا ما وجدت أيّ اعوجاج أو مثلت في حياة المجتمعات الإنسـانية المعاصـرة"[36]، فتغدو بذلك ديوان المجتمع وسـجله الناطق بلسـانه الصـادق، إنها لسـان حاله والمعبر عن أحواله، ومجمع مآثره ،والمعرف بعاداته وتقاليده، والراصـد لبطولاته، والمجسـد لتفاصـيل وأحداث حياة أفراده، نافسـت الأجناس الأدبية الأخرى من مثل الشـعر فحازت على مرتبة الريادة ،وأصـبحت في الطليعة إنتاجًا وقراءة ودراسة، خاصة بعد أن تنافس على الإبداع في إطارها الرجل والمرأة، وقد أبانت هذه الأخيرة فيها عن رحابة فكرها وقدرتها على التخيل، وتحقيق التمازج بينه وبين ما هو واقعي ،فأبدعت فيها أيما إبداع لأنها وجدت في خصـائصـها الفنية وتقنياتها السـردية ما يتوافق مع طبيعتها، وما يلبي توجهاتها ويمكنها من طرح وجهات نظرها. إذن فتوجه المرأة للإبداع في فن الرواية مرده أولاً لما يمنحه لها من فرص لإثبات تميزها قد لا يتيحه غيره من الأجناس الأدبية، كما يرتبط بخصـوصـية تركيبة المرأة التي تجعلها تميل إليه أكثر من غيره.

إن الأهداف التي أطرت للفن الروائي منذ نشأته الأولى جعلته يتوافق مع توجهات المرأة التي تسعى إلى رصـد الوقائع وطرح القضـايا والانشـغالات والتعريف بالهواجس والتوجهات بشـكل جمالي فني، فلم تجد لها أنسـب من الرواية التي عدت أقرب الأجناس الأدبية إلى الواقع ومن ثمة إلى المرأة "إنها أقرب عوالم الأدب

إيحاء بعكس حركة الواقع وتقديم صورة حية له-قد أعطت (المرأة) بعضًا مما أعطاه الواقع لها، حين اعترف واعيًا بأن المرأة نصف المجتمع، إن معظم الأدباء والفنانين...احتفوا بالمرأة...في الفن كما هي في الحياة-ملهمة وراعية...وشريكة حياة...ودافعة للحرية...ومحركة للأمل...كما كانت لدى البعض أيضًا مصدرًا للألم والأحزان"[37].

وقد حاولت الناقدة "زهور كرام" أن تتحرى سبب توجه المرأة المبدعة إلى الرواية، وقد أفضى بها البحث إلى إرجاعه إلى عنصرين أساسيين: إحداهما داخلي والآخر خارجي، وفصلت في شأنهما قائلة "العنصر الداخلي يعني به طبيعة الجنس الروائي، وتكوينه الفني الإبداعي المنفتح – باستمرار – على الممكن والمحتمل في اللغات والأصوات والأساليب، إلى جانب كونه أكثر الأجناس الأدبية تشخيصًا لمختلف التوجهات بسبب طبيعة تركيبته...وإذا كان الجنس الروائي يقول ما يمتنع التاريخ عن قوله...وإذا كانت الرواية تفتح صفحاتها لتكتب التاريخ... فإن صوت المرأة من خلال جنس الرواية وفق شروط الوعي بتاريخ اللغة وعلاقة الرجل بالكتابة والمرأة بالشفوي...يجعل منها مجالاً لقراءة الثغرات وإعادة كتابة/صياغة التاريخ من خلال زاوية تم إقصاؤها منذ أمد بعيد"[38].

إن الحديث عن إسهامات المرأة في مجال الرواية قد أفضى بنا إلى الإشارة إلى الدور الذي تقوم به الرواية في إعادة بناء الذات والعالم [39]،فقد اتخذ وسيلة فنية للتعبير والتشخيص، وميدانًا لمساءلة وعي المرأة وبيان كيفية تعاملها معه ومع خصائصه الفنية وتسخيرها لطرح قضاياها وانشغالاتها ووجهات نظرها، باعتبارها " خطابًا فنيًا قادرًا على احتواء الذاكرة والحلم والأفق ولذلك، فهي تعد أكثر الأجناس الأدبية تقبلاً للغات والأصوات وأنماط الوعي المختلفة ولهذا، نجد- في مستوى هذا العنصر- علاقة جدلية بين الرواية ومسألة المرأة، كلاهما ساهم في تحرير المجتمع من ثقل الموروث"[40]. فلا غرابة إذّا أن تحتفي المرأة بالرواية، وتحتفي الرواية بالمرأة، لتغدو بمقتضى ذلك ميثاقها الأنثوي الذي يحفظ لها وجودها ويمكنها من استثمار تقنيات وقوانين الكتابة السردية وفقًا لما يتماشى وخصوصيتها الأنثوية، وتبعا لما يخول لها أداء الوظائف المنوطة بها في مجال بناء المجتمع والارتقاء به نحو الأفضل، وعدم الاكتفاء بما هو كائن وإنما التطلع إلى ما يجب أن يكون.

مما سبق يتضح أن العلاقة بين رواية المرأة وقضايا المجتمع تتجاوز حدود العلاقة بين المبدع وإبداعه إلى علاقة تتوحد فيها المرأة في كتاباتها مع الراهن فتنزاح كل الحواجز و" يتحقق التفاعل بين الكاتبة والكتابة، ويحدث التماسك النصي، على مستوى السياق، بين اللحظة الآنية (وقت كتابة الرواية) وبين الماضي (ماضي الحكاية)، وهي لحظة حاسمة من عمر الفعل السردي، يستوجب إحكام السيطرة، بوصفها عاملاً تقنيًا بناءً حاسمًا في نجاح الرواية أو فشلها"[41]، ولذلك فالمرأة المبدعة تحاول قدر الإمكان أن تسخر كل إمكانياتها وقدراتها وطاقاتها لشحن نصها الروائي بما يكفل له المساهمة في حركة البناء والإصلاح والتطلع إلى التغيير، فهي "حين تمتزج بالكتابة ،تتفاعل معها جسدًا وروحًا، مخلصة في ذلك إلى حد إفراغها على الورق، وإذا كانت المرأة (الساردة) تعتني بجسدها، فهي أيضًا تعتني بتشكيل نصّها الإبداعي، وتستبد بها رغبة جامحة في إفراغ المكبوت، أو(المسكوت عنه)، كونه جهدًا ومشقة وألمًا يعادل عسر المخاض وألم الولادة"[42].

إن إعادة موقعة خارطة الإبداع الروائي بالنظر إلى إســـهامات المرأة العربية فيه لا تعني مطلقا إيجاد اسـم واحد تعزي إليه ولادة الرواية العربية، فالأسـماء النسـوية اللامعة في سـماء الإبداع الروائي كثيرة، ومنها "عائشة التيمورية" التي أصدرت رواية "نتائج الأحوال" سنة 1885م[43]، ومعها ارتفع معها صوت الأنثى خارج الأسوار معلنا عن ميلاد أول رواية تكتبها المرأة عن المرأة، وقد نجحت في التعبير عن قضـايا وأفكار خاصـة ببنات عصـرها، مما جعلها في "طليعة نساء العهد الجديد المعترفات بحقهن في حرية العواطف وبمشروعيتها ضـــمن حدودها الطبيعية، هي في طليعتهن ليس في الشـــرق فقط بل في العلم كله"[44]، لتبرز في وقت غير بعيد عن هذه البداية المبكرة رائدات عربيات، أمثال "زينب الفواز" التي كتبت رواية "حســـن العواقب"، وأبانت فيها وعي بقضـــية المرأة، إذ قامت بمحاولات جادة للتصـــدي لتقاليد المجتمع المجحفة في حقها ، فضـــلا عما كشـفت عنه من نضـــج فني وتمكن من أبجديات الإبداع الروائي الذي تعتبره من أهم أنواع الكتابة لأنه يعكس فكر المرء ، ويعيد انتاج صـــورة للواقع، وليس الواقع بحالته[45]، ومن الروائيات العربيات الرائدات كذلك، نذكر _على سبيل التمثيل لا الحصـر_ عفيفة كرم، مي زيادة، أحلام مسـتغانمي، سـلمى الصـائغ،... وغيرهن من الأسماء التي تكشف القراءات المختلفة لإبداعاتهن عن الانجازات الفكرية والأدبية للمرأة العربية التي سـاهمت بقسط وافر في نهضـة المجتمعات العربية من خلال إسـهاماتها الإبداعية في مجال الرواية التي كانت مجالها الرحب الذي أبانت فيه عن قدراتها لا في طرح هواجسـها وانشـغالاتها بوصـفها ذاتا أنثوية لها خصـوصـيتها فحسب، وإنما من خلال معالجتها للقضـايا الجمعية، وطرق مسـتجدات الراهن السـياسـي والاجتماعي والثقافي بوصفها عضوا فاعلا في المجتمع.

خاتمة

ونخلص للقول إنه وإذا كانت الرواية هي التي تحقق للمرأة العربية المبدعة ذاتها داخل فعل الكتابة، فإن إسـهاماتها للنهوض بحال المجتمع نحو الأفضـل النابعة من وعي كامل بالكتابة رسـالة ونهجا، والمبنية على فهم عميق لدورها في تمثيل وجهة النظر الأنثوية تمثيلا حقيقيا في معركة البناء لكسب رهان مسايرة المجتمع العربي للركب الحضـــاري، هي التي كفلت لها مكانة فيه، مكانة ترتقي بها من الوأد ومحاولات التهميش إلى أن تكون عنصـرا فعالا ومسـاهما في مختلف الأبنية، مما أتاح لها فرض نفسـها، وانتزاع الاعتراف بكينونتها، ومكنها من حفر لوجودها موقعا في الذاكرة الجمعية، إذ لا يســـتطيع أي أحد أن ينكر أهمية الأدوار التي اضـــطلعت بها مؤخرًا، وهذا ما سـاعدها على تحقيق هوية وصـوت متميز في المجتمع وفي الأدب ، فغدت نصف المجتمع، وفي كثير من الأحيان المجتمع كله، ولا أدل على ذلك من "الإضافات الجوهرية التي قدمتها المبدعات للرواية العربية "[46]، التي لم تكن في انفصـال عن جملة التحولات التي عاشـها المجتمع العربي، فقد عكســت مطامح المجتمع، وعبرت عن تاريخه، فكانت وبلا شـــك اختزالا لرؤية المرأة للعالم وتوثيقا لأشـــكال الوعي اتجاه قضايا الراهن على اختلافها وتنوعها.

وفي الختام، يجب أن نشير إلى أن الرواية النسوية العربية قد استطاعت ارتياد عوالم غير مسبوقة وغير معهودة في الأدب العربي وفي الآداب الغربية، بفضـــل ابتداع متخيل جديد ســـما بها إلى مصـــاف الآداب العالمية عن جدارة واسـتحقاق. نحن حقيقة أمام إنجاز حضـــاري واعد يؤســـس لذائقة إنســـانية جديدة ولنزعة

إنسـانية جديدة بشـر بها منذ عقود الشـاعر العالمي أراغون عندما تنبأ بالتحولات الحضـارية القادمة فقال :" المرأة مستقبل الإنسانية."

الهوامش:

[1] - يحي الشيخ: مقدمة كتاب رفاعة رافع الطهطاوي: تحرير المرأة المسلمة، كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تنقيح وتقديم وتعليق يحي الشيخ، دار البراق، بيروت-لبنان، ص9-10.

[2] - رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة(سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف)، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص22.

[3] - حفناوي بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة(ترويض النص وتقويض الخطاب)، أمانة عمان الكبرى، عمان-الأردن، ط1، 2008، ص 169.

[4] -المرجع نفسه، ص169.

[5] - أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005، ص27.

[6] - المرجع نفسه، ص32.

[7] - شريفة القيادي، ص91

[8] - بثينة شعبان: ص39.

[9] - شريفة القيادي: ص107.

[10] - سوسن ناجي رضوان، الوعي بالكتابة في الخطاب النسائي العربي المعاصر، دراسات نقدية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص61.

[11] - اعتدال عثمان، التراث المكبوت في أدب المرأة، دفاتر نسائية، سلسلة تشرف عليها زينب لعوج، الكتاب الثاني المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م، ص12.

[12] - سعاد طويل: الرواية النسائية العربية وخطاب الذات، ملة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر- بسكرة، العدد السادس، 2010م، ص37-38.

[13]- محمود أمين العالم، أربعون عامًا من النقد التطبيقي (دراسة لا تموت وهي تعلن انتصار الحياة، المستقبل العربي، القاهرة، (د/ط)، 1994، ص 456.

[14] - واسيني الأعرج: الأدب النسائي، ارتباكات المصطلح وأشواق العنف البطن، مجلة روافد، ع1، 1999، منشورات مارينو، الجزائر، ص13.

[15] - ينظر زغينة علي وآخرون: السرد النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، عدد 2004، ص18.

[16] - الحبيب بن السايح: الكتابة عن الكتابة، مجلة الثقافة، الرواية الجزائرية، مسارات وتجارب، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، عدد 118، فبراير 2004، ص23.

[17] - المرجع نفسه، ص23.

[18] - المرجع نفسه، ص22.

[19] - محمد غرناط، الهوية والتخييل في الرواية الجزائرية، قراءة مغربية، رابطة أهل القلم، منشورات الثقافة، سطيف- الجزائر ، ط1، 2008م، ص127.

[20] - بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، ط1، 1999، ص45.

[21]- نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، (في خطاب المرأة والجسد والثقافة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، عمان – إربد-ط1، 2008م ص01 .

[22] - إيمان القاضي، ص20

[23]- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، سلسلة: السرد العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 285.

[24]- المرجع نفسه، ص285.

[25] - المرجع نفسه، ص 285.

[26]- ينظر حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2008، ص108-109.

[27]- المرجع نفسه، ص109.

[28]- بثينة شعبان، 100عام من الرواية النسائية العربية، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 1999، ص 23.

[29]- رشيدة بنمسعود، جمالية السرد النسائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/ 2006م ص 14.

[30]- الأخضر بن السائح، سرد الجسد وغواية اللغة ،(قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى) ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن- ط1، 2011ص 44.

[31]- المرجع نفسه، ص37.

[32]- المرجع نفسه، ص75.

[33] - المرجع نفسه ، ص 76.

[34] - سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2010، ص 09.

[35]- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938)، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1999 ص 11.

[36] - المرجع نفسه، ص11.

[37]- سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ، ص 21.

[38] - زهور كرام، السرد النسائي العربي (مقاربة في المفهوم والخطاب)، شركة النشر والتوزيع، المداريس-الدار البيضاء ط1، 2004، ص 31.

[39]- المرجع نفسه، ص 61.

[40]- المرجع نفسه، ص 32.

[41]- المرجع نفسه، ص1.

[42]- المرجع نفسه ، ص1.

[43] - نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ط2003،1، ص109.

[44] - حفناوي بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة(ترويض النص وتقويض الخطاب)، ص170.

[45] -بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية، دار الآداب، ط1، سنة1999، ص48.

[46]- صلاح صلاح، سرد الأخر-الأنا و الآخر عبر اللغة السردية-المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب،ط1، 2003، ص 177.